

مجلة علميّة أدبيّة صحيّة صناعيّة

الشعر

عرَّف العروضيون الشعر بانهُ الكلام الموزون المقفَّى وقيل هو كلامٌ موزونٌ على قصد مرتبطٌ بمعنى وقافية . فخرج بالموزون النثر والاسجاع وبالقصد ما ورد في القرآن وغيرهِ من الفِقَر الموزونة نحو ان كيد الشيطان كان ضعيفاً وبالمرتبط بمعنى ما لا معنى لهُ من الموزون كقول القائل

كاننا والمآء من حولنا		قومٌ جلوسٌ حولهم مآءُ

على ان هذا قد خرج بقولهم كلامٌ لان ما لا معنى لهُ لا يُعدّ كلاماً . وخرج بالقافية ما كان موزوناً بمعنًى دون قافية كقول الآخر

رُبَّ اخٍ كنتُ بهِ مغتبطاً		اشدُّ كفّي بعُرى صحبتهِ

تمسكاً مني بالودّ ولا		احسبهُ يزهد في ذي املِ

ويّنٌ ان هذا من التعريف الذي يستفاد منهُ تمييز الشعر من النثر دون شرح

ماهية الشعر و بيان حقيقتهِ لان قولهم كلامٌ جنسٌ يدخل تحتهُ الشعر والنثر وباقي القيود المذكورة بعد مُخرِجٌ للنثر وغيرهِ مما ليس بموزونٍ مقفًى وما ليس بكلامٍ اصلاً . وعليهِ فلو عمدنا الى اي كلامٍ شئنا من المنثور ووزناهُ وقفيناهُ لجاء شعراً والظاهر من مذهب المحققين بل من صنيع الشعراء من العرب وغيرهم ان حقيقة الشعر غير هذا ولكنهُ يختصّ باجناسٍ من المعاني وضروبٍ من الاساليب يتميز بها عن النثر كما يتميز عنهُ بما ذكر من الوزن والقافية

قال ابن خلدون في الكلام على صناعة الشعر ما نصهُ .. ولا يكفي فيهِ ملكة الكلام العربي على الاطلاق بل يحتاج بخصوصهِ الى تلطفٍ ومحاولة في رعاية الاساليب التي اختصتهُ العرب بها واستعمالها . ثم ذكر معنى الاسلوب فقال انهُ عبارةٌ عن المنوال الذي تُنسج عليهِ التراكيب والقالب الذي تُفرَغ فيهِ وهو لا يرجع الى الكلام باعتبار افادتهِ اصل المعنى الذي هو وظيفة الاعراب ولا باعتبار افادتهِ كمال المعنى الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجةٌ عن هذه الصناعة الشعرية وانما يرجع الى صورةٍ ذهنية للتراكيب المنتظمة فان لكل فنٍّ من الكلام اساليب تختصّ بهِ وتوجد على انحاء مختلفة . وذلك كأن يكون سؤال الطلول بخطابها او باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال او باستبكاء الصحب على الطلل .. وكأن يكون التفجع على الميت باستدعاء البكاء او باستعظام الحادث او بالتسجيل على الاكوان بالمصيبة لفقدهِ الى غير ذلك . قال واذا تقرر معنى الاسلوب ما هو فلنذكر بعدهُ حدًّا او رسمًا للشعر بهِ تُفهم حقيقتهُ على صعوبة هذا الغرض فانا لم نقف عليهِ

لاحدٍ من المتقدمين فيما رأيناهُ وقول العروضيين في حدّهِ انهُ الكلام الموزون المقفى ليس بحدٍ لهذا الشعر الذي نحن بصددهِ ولا رسمٍ لهُ . . فلا بد من تعريفٍ يعطينا حقيقتهُ من هذه الحيثية فنقول . الشعر هو الكلام البليغ المبنيّ على الاستعارة والاوصاف المفصَّل باجزآء متفقة في الوزن والرويّ مستقلٍ كلّ جزءٍ منها في غرضهِ ومقصدهِ عما قبلهُ وبعدهُ الجاري على اساليب العرب المخصوصة بهِ . انتهى المقصود منهُ باختصار وتصرف . قلنا وهذا ايضاً غير وافٍ ببيان حدّ الشعر لان قولهُ هو الكلام البليغ جنسٌ يشترك فيهِ الشعر والنثر على السوآء وقولهُ المبنيّ على الاستعارة والاوصاف ليس ايضاً بالفصل الذي يميزهُ لان كلاً من الاستعارة والاوصاف يكون في النثر ايضاً وقولهُ المفصل باجزآء متفقة في الوزن والرويّ الى آخر الرسم كلهُ من القيود اللفظية وبقي الشعر على الحدّ الذي ذكرهُ العروضيون فيما نقل عنهم لم يزد عليهِ الا التقييد بأسلوب العرب وهو امرٌ يتعلق بصناعة النظم لا بحقيقة الشعر كما لا يخفى

وجآء في المثل السائر ان الصابئ سئل عن الفرق بين الكتابة والشعر فقال ان طريق الاحسان في منثور الكلام يخالف طريق الاحسان في منظومهِ لان الترسل هو ما وضح معناهُ واعطاك سماعهُ في اول وهلة ما تضمنتهُ الفاظهُ وافخر الشعر ما غمض فلم يعطِك غرضهُ الاّ بعد مماطلة منه . ثم قال والفرق بين المترسلين والشعرآء أن الشعرآء انما اغراضهم التي يرتمون اليها وصف الديار والآثار والحنين الى الاهوآء والاوطار والتشبيب بالنسآء والطلب والاجتدآء والمديح والهجآء واما المترسلون فانما يترسلون

في امر سداد ثغر واصلاح فساد او تحريضٍ على جهاد او احتجاجٍ على فئة او مجادلةٍ لمسئلة. او دعآء الى أُلفة او نهيٍ عن فرقة .. او ما شاكل ذلك . قال صاحب الكتاب ولقد عجبت من مثل ذلك الرجل الموصوف بذلاقة اللسان و بلاغة البيان كيف يصدر عنهُ مثل هذا القول الناكب عن الصواب الذي هو في باب ونصيّ النظر في باب ثم اخذ في تفنيد كلامهِ في تفصيلٍ طويل محصلهُ نفي الاختصاص بين هذين الطرفين في الوضوح والغموض وصلاحية كلٍّ منهما للاغراض التي تؤدَّى بالآخر وجعل الفرق بينهما في ثلاثة اوجه الاول ان احدهما منثور والآخر منظوم والثاني ان من الالفاظ ما يعاب استعمالهُ نثراً ولا يعاب نظماً والثالث ان الشاعر اذا احتاج الى الاطالة لم يُجد في كل نظمهِ والكاتب يطيل ما شآء ويجيد . وانت ترى ان كل ما ذُكر هنا غير داخل في شيءٍ من حقيقة الشعر والنثر وانما هي اعراضٌ اضافية لا تقوّم فصلاً ولا تكمّل حدًّا

وقد طالعنا طائفةً من اقوال ادبآء الاعاجم في هذا المعنى بين مختصرها ومطولها وقديمها وحديثها فوجدنا ثَمَّ اضطراباً شديداً بحيث لم نكد نقع على القول الفصل في حدّ الشعر عندهم و بيان ماهيتهِ وماهية النثر بما يقطع عرق اللبس بينهما . وقد اتفقوا على ان المرجع في تمييز الشعر من النثر هو ما يحدثهُ من التأثير في النفوس والتسلط على الوجدان ولكنهم اختلفوا في عامل هذا التأثير فمن قائلٍ انهُ ما يرد فيهِ من اصناف المجاز والكنايات لما فيها من الافتنان في التعبير وايراد المعنى على غير صورتهِ المألوفة في الخطاب ورُدّ بان هذه انما هي حِلًى تزان بها المعاني الشعرية ولا تعلّق لها بجوهر تلك المعاني لجواز

ان يخلو الشعر عنها ولا يفقد من خاصيتهِ ولانها شائعةٌ بين الشعر والنثر فلو كان الاثر لها لكان في النثر ايضاً ٠ وقيل انهُ ما يقع فيهِ من المعاني المستنبطة من توليد القريحة واختراع المخيّلة مما تجرد لهُ النفس عن طور الحسّ وتلحق بعالم الخيال وهذا ايضاً لم يسلَّم بكونهِ علّة ما ذُكر من التأثير لان القصص الموضوعة تكون كذلك وهي تكتب بالنثر على الغالب لا بالشعر ٠ وقيل هو ما بُنِيَ عليهِ من الوزن الشبيه بالايقاع حتى يفعل في النفس فعل الغنآء ورُدَّ بان ذلك لا يخرج ايضاً عن كونهِ من الحلى التي تزيد في حسن الشعر وتكسبهُ طلاوةً ورونقاً ولكنهُ لا يكون العامل لذلك التأثير لان الشعر اذا خلا من المؤثرات المعنوية لم يكن مؤثراً بالوزن وحدهُ كما ان من النثر ما اذا توفرت فيهِ شروط الفصاحة وزُيّن بفنون المجاز فقد يعارض الشعر في ذلك مع خلوهِ من الوزن ٠ والذي يظهر لنا والله اعلم ان التأثير في الشعر يعود الى اجتماع هذه المعاني كلها فان استنباط المعنى الجديد وابرازهُ في حلةٍ من المجاز او الكناية مما يؤثر ولا شك على العقول ويأخذ بمجامع القلوب لما في المعنى الجديد من الغرابة التي يتنبه لها الذهن لخروجهِ عن طريق المألوف وصدورهِ على غير ترقب السامع ولان تمثيلهُ في قالب من المجاز يقضي باعمال الفكر لردّهِ الى حقيقتهِ فلهُ هناك حركةٌ ينطبع بها تأثيرهُ في الذهن باشدّ من انطباعهِ اذا افضى الى المدركة دفعةً واحدة ٠ ولذلك ترى الشعر السهل المأخذ الواضح المغزى ولا سيما ما خلا عن المجاز او ما كان مجازهُ مطروقاً اضعف تأثيراً على السامع من الشعر الذي يحتاج الى بعض الغوص على مراد قائلهِ لما فيهِ من تشوق النفس الى الوقوف على معناهُ ثم ظهور ذلك المعنى

لها وهي متأهبة للانفعال بهِ فانها تجد في ادراكهِ من اللذة ما لا تجدهُ فيما يأتيها عفواً . وذلك اذا تفقدتهُ وجدتهُ في كل مطلوب من المعاني وغيرها فان الدرهم الذي يُنال على السهولة والدعة لا يكون لهُ من الوقع ما لغيرهِ مما لا يحصل الا بعد العناء وجهد الطلب . وكذلك امر الوزن فانهُ بلا ريب مما يزيد المعنى حسناً وتأثيراً لما فيهِ من التناسب بين اجزاء اللفظ مما يعلقهُ الطبع وتلهو بهِ النفس عن داعي سائر الحواس على حد ما يحصل بالنغم

على ان الظاهر ان الوزن ليس في شيء من اركان الشعر ولا دخل لهُ في ماهيتهِ وأصل وضعهِ لأنا اذا تفقدنا الشعر القديم كالوارد في بعض اسفار التوراة والنبوءات لم نجدهُ مبنياً على اوزانٍ مطّردة ولا مفصلاً الى ابياتٍ مقدّرة كما هو المتعارَف اليوم وانما كان يتميز الشعر عندهم بنباهة اغراضهِ وسموّ معانيهِ والاكثار فيهِ من الصور الخيالية والتفنن في اساليب المجاز مع توخي الالفاظ الفصيحة والتراكيب البليغة التي لم تألفها العامة ولم تُبتذل في استعمال غير الخاصة . واما القافية فلم يُصطلح عليها الا في الازمنة المتأخرة والظاهر من مباحث اهل التحقيق انها اول ما استعملت عند العرب وعنهم اخذ غيرهم من اصحاب سائر اللغات ولعل اول شعرٍ مقفّى في العبرانية هو ما جاء في مقامات يهوذا بن سليمان الحريزي (براء مهملة ثم زاي معجمة) التي تحدى بها مقامات الحريري فانهُ بناها على السجع واتى بشعرها موزوناً على بعض الابحر العربية كالوافر والسريع والرجز مع القوافي المطّردة . وهذا كلهُ مما يدلك على ان الفرق المعتبر بين الشعر والنثر انما هو معنويٌّ لا لفظيٌّ وان الوزن والتقفية لا يكفيان لصيرورة الكلام شعراً ما لم يكن مستوفياً

للشرائط المعنوية حتى يكون شعراً بالمعنى قبل ان يكون شعراً باللفظ . وسنعود الى تمة الكلام في حقيقة الشعر واغراضهِ في الاجزاء الآتية ان شآء الله

معالجة الغرقى

عثرنا في احدى المجلات العلمية على فصلٍ في هذا المعنى فأحببنا تعريبهُ لما فيهِ من الفائدة قالت

ينبغي المبادرة الى تدارك الغريق في اسرع ما يمكن من الزمن ولا ينبغي ان يُستسلم فيهِ الى اليأس مهما رُؤي من ظاهر حالهِ ومهما طال امد العناية بهِ فقد شوهد من الغرقى من لم تثُب اليهِ حواسهُ الا بعد خمس او ست ساعات من العلاج المتواصل

ثم ان من الناس من يظن ان الغريق يهلك لابتلاع مقدارٍ كبير من المآء ولذلك يبادرون الى تنكيسهِ بان يرفعوهُ من رجليهِ او يبطحوهُ على موضعٍ مرتفع وينكسوا رأسهُ وصدرهُ وكثيراً ما يكون ذلك سبباً للقضآء عليهِ بفوت العلاج الواجب لان ما يبتلعهُ من المآء لا يكون الا مقداراً تافهاً لا خطر منهُ على الحياة . ومنهم من يظن ان هلاكهُ يكون من تأثير البرد بان يحدث شللاً ويبساً في الاعضآء فيعالجونهُ بالتدفئة والفرك لتنبيه الحرارة الطبيعية

والصحيح ان السبب في هلاك الغريق انما هو احتباس الهوآء عن الرئتين بحيث يموت اختناقاً . والاختناق يتنوع بتنوُّع اسبابهِ فمنهُ ما يكون

شديد الخطر على الحياة ومنهُ ما يمكن ردّ التنفس بعدهُ ولو انقطع حيناً من الزمن

ولذلك فاول ما يجب صنعهُ عند اخراج الغريق من المآء ان يُفتح فمهُ ويُنزَع منهُ ما يكون فيهِ من الزَبَد او غيرهِ تسهيلاً لدخول الهوآء ثم يُنقَل في اسرع ما يستطاع الى احد المواضع المعدَّة لمعالجة الغرقى ان وُجد ويُسرَع في مباشرة العلاج ما امكن اغتناماً للزمن فيوضع وضعاً افقياً مع امالتهِ بعض الشيء على الجانب الايمن ورفع رأسهِ قليلاً ثم يجرَّد من ثيابه بكل سرعة وان لم يمكن الاسراع في نزعها تُشقّ وبعد ان يجرَّد يلفّ بملآءةٍ جافة ويوضع في فراشٍ مسخّن تسخيناً معتدلاً ثم يباشر في احداث التنفس الصناعي

واحداث هذا التنفس انما يتمّ بمتابعة حركة التنفس الطبيعي وذلك بان يقلّص الصدر ويمدَّد مرةً بعد اخرى على التعاقب . وطريقتهُ ان تؤخذ الذراعان على موازاة المرفقين وتُجذَبا الى ما فوق الرأس ثم تحطّا دفعةً واحدة وهما على الوضع نفسهِ حتى يلصق المرفقان بالبدن ثم تُستأنف الحركة الاولى ويُجعَل بين كل حركةٍ وضدّها مهلة ما يُعدّ واحد ويكرر العمل كذلك من ١٥ الى ٢٠ مرة في الدقيقة الى ان يشخص الصدر من تلقآء نفسهِ ويدخل اليهِ اول نفس وان وُجد اثنان يتعاونان على ذلك يجلس كلٌّ منهما على احد جانبيهِ ويجريان تلك الحركة معاً

ويمكن ان يُحدَث التنفس الصناعي ايضاً بان يجثو من يباشر ذلك على ركبتيهِ الى يمين الغريق مما يحاذي الورك ثم يضغط بشدّة بجُمعي يديهِ على قاعدة الصدر اي على آخر الاضلاع السفلى مع الميل قليلاً الى جهة الورآء

ثم يرفع يديهِ فجأةً ثم يعود الى الضغط كالاول ويجعل بين الضغط والارسال مهلة ما يعدّ واحداً ويكرر ذلك كما في الحركة المذكورة قبلاً نحو خمس عشرة مرةً في الدقيقة . ويمكن ان تُجرَى لهُ كلتا الطريقتين في الوقت الواحد بشرط ان تتوافقا توافقاً تاماً

وقد ارتأى الدكتور لابورد ان يعاد التنفس بواسطة جذب اللسان وذلك بان يُفتح فم الغريق حال خروج المآء من جوفهِ وبعد نزع ما يكون في فيهِ من المواد اللزجة يُمسك لسانهُ ويُجذَب الى الامام جذباً متواتراً الى ان يعود النَفَس وذلك انهُ بجذب اللسان يُوصل ما بين الكظَم اي مجرى النفس والهوآء الخارجي وقد امتُحنت هذه الطريقة في كثيرين وقلما اخطأت النجاح . على ان هذه الطريقة لا تمنع من اجرآء التنفس الصناعي المذكور فيمكن ان يباشر الامران معاً

واول مرة تظهر علامة رجوع النَفس ويُعرَف ذلك بانتفاخ الصدر وحركات القلب واحياناً بحركة الاجفان او المقلة ينبغي ان يُترك ترويح الرئتين ولكن يُواظَب على فرك الاطراف فركاً شديداً بخِرَق مسخَّنة وكمادات مبلولة بالخل او بروح الخمر (العرقي) مع الضغط الرفيق على اسفل البطن وعلى عظام الصدر لمساعدة حركات التنفس والاستيثاق من انطلاق حركة الرئتين . ولا ينبغي ان يُسقى الغريق شيئاً قبل ان يبدأ تنفسهُ لانهُ بدون ذلك لا يستطيع الابتلاع وحينئذٍ فيمكن ان ما يُصَبّ في فيهِ من السائلات يدخل مجرى النفس ولا سيما في اول نفس يحدث منهُ فلا يُؤمَن ان يردهُ الى الاختناق . ولكن متى عاد النفس الى مجراهُ يمكن لاجل التقوية ان يُسقى

بملعقةٍ معدنية مع التأني شيئاً من الخمر المسخَّنة او الشاي او القهوة او الكنياك او الروم المخفف وقد يُعطَى مقيئاً برأي الطبيب . واذا توقف تنفسهُ مرةً اخرى يعاد الى احداثهِ بمثل ما ذُكر

هذا كلهُ اذا كان بقرب مكان الغرق محلٌ من المحلات المعدّة لهذه المعالجة على ما ذُكر واما اذا لم يكن هناك محلٌ مخصوص لذلك وهو الغالب فينبغي ان ينقل الغريق الى اقرب موضعٍ جافٍ من الشاطئ ويجرَّد من ثيابهِ المبلولة تماماً وينشَّف بدنهُ بالتبن الجافّ او الخِرَق والثياب مع فرك صدرهِ وجميع اعضائهِ ثم يلقى على ظهرهِ ويعالج تنفسهُ بالضغط او غيرهِ مما ذُكر وللمحافظة على الحرارة الحادثة بالفرك يغطى بثيابٍ جافة واذا كان وقت حرّ يؤثر ان يغطى بطبقة رقيقة من الرمل

اما الوقت اللازم لافاقة الغريق فان كان قد لبث تحت المآء ما لا يزيد على خمس دقائق فكثيراً ما يكفي ان يعرَّض للهوآء مع جذب اللسان على الوجه المذكور . واذا استمر تحت المآء اكثر من ذلك فلا بد من المصير الى ما ورآء ذلك من الذرائع المذكورة . على انهُ مهما يكن من امرهِ فلا ينبغي ان يُقنَط منهُ اذا لم يظهر النفع في اول الامتحان ولكن يجب ان يواظب على العمل من غير فتور مدة اربع او خمس الى ست ساعات واذا لم يظهر بعد ذلك فائدة من المعالجة تُترَك الجثة على فراش دفيء لانهُ قد يحدث في احوال الاختناق ان تذهب كل الذرائع المنبهة سدًى ثم تحدث الافاقة بعد ذلك عفواً . انتهى محصلاً ببعض اختصار

البحارة البرّية

تهتمّ روسيا في هذه الايام بعملٍ يُعدّ من اعظم اعمال الدول في هذا العصر وهو وصل البحر البلطيك بالبحر الاسود وكفى بالاقدام على هذا العمل دليلاً على قوّة هذه الدولة العظيمة بعد ما قامت بهِ من العمل السابق الذي لم تكد تفرغ منهُ بعد وهو مد السكة الحديدية السيبيرية التي قُدّرت نفقاتها باربع مئة مليون روبل وقد قُدّرت نفقات العمل الثاني الذي تنويهِ الآن بمئة وعشرين مليون روبل وسيستغرق مدة خمس سنوات

ومسافة الخطّ بين البحرين المذكورين تبلغ ٩٩٤ ميلاً يمرّ في اثنآئها على عدة انهر هي خلجانٌ طبيعية يمكن ركوب اكثرها بالسفن لكن يعترضهُ مما يلي جهة البحر الاسود عدة شلالات على مسافة نحو اربعين ميلاً وهي العقبة الوحيدة في سبيل هذا العمل العظيم . وسيُجعل عمق هذا الخليج ٢٨ قدماً انكليزية ويكون ابتدآؤهُ من عند دونامُند من خور ريغا وينتهي الى كاترينوسلاف فيمرّ على مواني ريغا ومنسك وكياف وما يلي تلك المواضع الى خرسون . ولا يجهل احدٌ ما يترتب على هذا الخليج العظيم من المنافع لانهُ يكون لهذه الدولة بمنزلة سكة حديدية تُنقل عليها الجنود برّاً فيفيد بلادها منعةً لا تُقهَر فضلاً عما فيهِ من الفوائد التجارية بتسهيل النقل ولا سيما وان المواني التي يمرّ فيها فُرَضٌ لأخصب اراضي الروسية واغناها تربةً وستعمر بسببهِ الاراضي الغامرة المهملة على ضفاف الخليج فتزداد بذلك مدن روسيا الآهلة وقوتها البحرية ومواصلاتها التجارية

وقد اخذت فرنسا منذ مدةٍ تبحث في فتح خليج تجعل بهِ مدينة باريز فُرضةً بحرية وهو امرٌ طالما تمثل لهذه الدولة لما تعلم فيهِ من المنافع الجليلة واول من تفطن لهُ الدوك دي سولّي مستشار الملك هنري الرابع في اواخر القرن السادس عشر الا انهُ لم يزل امنيةً لهم تتردّد في خواطرهم وكان من جملة اماني نابليون الاول واحلامهِ اذ كانت تحدثهُ نفسهُ ان يجعل الهفر وروان وباريز مدينةً واحدة يكون السين طريقها الاعظم ولكن حيل بينهُ وبين هذه البغية بما شغل ذرعهُ من مناوأة الممالك واتصال المعارك ٠ ولما كانت سنة ١٨٢٣ عادوا الى البحث فيهِ فقرروا وجوب مباشرتهِ فعلاً ولكن عرضت من دونهِ الثورة التي نجمت سنة ١٨٣٠ فتوقفوا عنهُ الى ان نبههم اليهِ ما رأوهُ في هذه الايام من تخلف تجارتهم بمزاحمة المانيا وصرفها الصادرات عن طريق الهفر الى طريق انفرس بسبب رخص أُجَر النقل فلم يجدوا بدًّا من العود اليهِ تداركاً لما لحق تجارتهم من الوهن والكساد ٠ والخليج المذكور سيُمَدّ من باريز الى روان ويكون طولهُ ١٨٥ كيلو متراً وقد فرضوا لهُ ٧ امتار من العمق في ٣٥ متراً عرضاً وقُدّرت نفقتهُ بزهاء ١٥٠ مليون فرنك

على ان اتخاذ الخلجان لاجراء السفن مما اصطلح الناس عليهِ قديماً وقد سبق اليهِ الصينيون من عهدٍ بعيد ويقال انهم اول من احتفر الخلجان وحبس المياه بالسدود وتعاطى البحارة البرية فليس في بلادهم إيالةٌ الا وهي مخترقةٌ بخليج عظيم تتفرع منهُ تُرَعٌ صغيرة تتوزع في كل وجه حتى لا يُرَى عندهم مدينة ولا دسكرة الا وفيها مجرًى للسفن يصل بينها وبين معظم المملكة وكل ما يتعاطونهُ من نقلٍ او سفر يكون في تلك الخلجان واعظمها

الخليج الملكيّ المتصل بمدينة باكين

ومثل الصينيين في ذلك المصريون الاولون فانهم فضلاً عما احتفروهُ من الترع التي يوزعون بها مآء النيل على الاراضي الزراعية وهي تبلغ لا اقلّ من ستة آلاف ترعة كان عندهم خلجانٌ عظيمة لاجرآء السفن اشهرها خليجان احدهما خليج الاسكندرية وهو خليج واسع يبلغ عرضهُ في بعض الاماكن الى ٢٥٠ متراً كان يجري فيهِ النيل الى الاسكندرية عن طريق بحيرة مريوط . قال المسعودي وقد كان الاسكندر بنى الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليها معظم النيل فكان يسقي الاسكندرية وبلاد مريوط وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة وكانت السفن تجري في النيل وتتصل باسواق الاسكندرية وقد بلّط ارض خليجها في المدينة بالاحجار والمرمر . اه . واستمرّت السفن تجري فيهِ الى عهد ولاية الرومان ثم أُهمل بعدهم شيئاً فشيئاً حتى رُدِمَ بتراكم الرمال ولبث معطّلاً الى زمن الحاكم بامر الله فامر بفتحهِ سنة ٤٠٤ للهجرة ورُدِم بعد ذلك مراراً ففتحهُ الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤ ثم الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٠ ثم الملك الاشرف برسباي سنة ٨٢٦ ثم انطمّ بالرمال ولبث كذلك الى ان اعاد فتحهُ نابليون الاول سنة ١٧٩٨ . والخليج الآخر خليج مصر وكان يصل بين مصر وبلاد العرب ممتدًّا من لدن بوبَسْت المعروفة اليوم بتلّ بسطة الى بركة التمساح عند البحر الاحمر على طول ١٢٥ ميلاً وكان الشروع في حفرهِ على عهد الملك نخو سنة ٦٣٠ قبل الميلاد وتمّ على عهد داريوس هستاسب احد ملوك الفرس الاولى نحو سنة ٥٠٠ من التاريخ المذكور .

ولبثت تجري فيهِ السفن الى زمن استيلآء الرومان على مصر ثم تغلبت عليهِ الرمال وردمتهُ فاعاد حفرهُ الملك طراجان والملك ادريانس من بعدهِ فعاد الى سابق حالهِ واستمرَّ كذلك الى اوائل القرن السادس للميلاد ثم رُدِم ٠ وفي القرن السابع افتتح المسلمون مصر فجدد حفرهُ عمرو بن العاص بامر الامام عمر بن الخطاب واوصلهُ الى مصر القديمة فاصبح طولهُ جملةً ٢٠٠ ميل واستمرَّ على حالهِ تلك الى ان ردمهُ الخليفة ابو جعفر المنصور حين خرج عليهِ محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ليقطع عنهُ الطعام وذلك سنة ٧٧٥ للميلاد فسُدَّ الى الآن وصار منتهاهُ الى المكان المعروف بذنب التمساح من ناحية بطحآء القلزم

وقد خلف هذا الخليج خليج السويس الحالي وكان حفرهُ على يد دليسبس المشهور في عهد المغفور لهُ سعيد باشا وهو يخترق ما بين بحر السويس والبحر الرومي مارًّا في بركة التمساح التي انتهى عندها الخليج الاول وكان الشروع فيهِ سنة ١٨٥٦ وطولهُ ١٦٠ كيلومتراً وعرضهُ ٧٥ متراً واجريت فيهِ السفن في ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٦٩

واما في اوروبا فاشهر ما كان من ذلك الخليج الذي يصل بين البحر الاسود والبحر الشمالي ممتدًّا من مصبّ الدانوب الى مصبّ الرين وقد كان هذا الخليج مما تمثل للملك شرلمان سنة ٧٩٤ ثم لم يُفسح لهُ في الاجل لاتمامهِ فبقي امرهُ مهملاً ما ينيف على عشرة قرون من الزمن الى ان تهيأ اتمامهُ سنة ١٨٤٥ وهو الخليج المعروف بخليج لويس ٠ ثم الخليج الذي بوشر حفرهُ على عهد لويس الرابع عشر وهو المسمى بخليج الجنوب وخليج

البحرين وهو يخترق جنوبي فرنسا من الطرف الى الطرف ويصل البحر المتوسط بالمحيط الاتلنتيك وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً وعرضهُ عشرون متراً وكان الشروع فيهِ سنة ١٦٦٦ وتم سنة ١٦٨٤ . ثم الخليج المسمى بخليج برغونيا وهو يصل بين نهري السين والرون وطولهُ ٢٤٠ كيلومتراً . ثم خليج نيفرناي وهو يصل بين السين واللوار وطولهُ ١٧٦ كيلومتراً . والخلجان في اوربا اكثر من ان تُحصَى حتى لا تخلو اليوم مملكةٌ عن شيء منها فنقتصر منها على ما ذكرناهُ حب الاختصار

القوى العاقلة في الحيوان

لحضرة الكاتب الفاضل خليل بك سعد

وقع لي ان اطلعت بالامس على العدد السادس عشر من مجلة المشرق الكاثوليكية لحضرات الآباء اليسوعيين فوجدت فيها انتقاداً على مقالتي التي ظهرت مؤخراً في مجلة الضيآء الوضآءة تحت عنوان القوى العاقلة في الحيوان. وقبل الشروع في الرد على ما اخذهُ عليَّ حضرة المنتقد الفاضل الاب لويس شيخو اليسوعي اراني مدفوعاً بالواجب الادبي الى أداء الشكر لفضل حضرات الآباء اليسوعيين في نشر المعارف ولوقوفهم بالمرصاد لانتقاد كل ما يشتمون فيهِ رائحة المباينة للمبادئ الموكول اليهم تعضيدها فيخدمون بذلك الامة والعلم خدمةً تذكر فتشكر اذ لا يخفى ما يترتب على الانتقاد والمناظرات الادبية في العلم من الفوائد الكثيرة التي تنجم عن البحث واحتكاك القرائح فضلاً عن استلفات الجمهور للمطالعة والاستفادة . وحبذا كل انتقاد

مصدرهُ الاخلاص في تمحيص الحقائق ومؤدّاهُ الضالة المنشودة لا الثلب والتشفي بالطعن والتقريع كما هي عادة السواد الاعظم من كتّابنا المنتقدين ٠ وقد لمحت من خلال الرد الذي اثبتهُ حضرة المنتقد في العدد المذكور انهُ لا ينكر عليَّ فقط صحة ما اوردتهُ من الحقائق العلمية وما استنتجتهُ منها بل يرى في نشرها ما يوجب النكير على حضرة العلامة الفاضل صاحب مجلة الضياء وهو امرٌ لم نكن نتوقعهُ من حضرة المنتقد لان في نشر مثل تلك الحقائق خدمة للعلم والدين معاً ولان النتيجة التي استعاذ من ذكرها وهي « ان المبدأ العقلي عامٌّ في جميع انواع الحيوان الخ » مستخرجة من مقدمات مثبتة بالادلة القاطعة المبنية على المشاهدة والاستقراء لا الحدس والتخمين

ولعلمي بوجود كثيرين يتشوقون لمتابعتنا هذا البحث الجليل ولو مع التردد والوجل لتوهمهم انهُ مخالف لما يعتقدونهُ ارى من المفيد ازالة هذا الوهم بالادلة بحيث ندخل في البحث من وجهيهِ الدينيّ والعلميّ ٠ ويكفينا في هذه العجالة ان نأتي على بعض نصوص الكتاب ونلمحها لمحة فائتٍ حتى اذا زاد حضرة المنتقد من الاعتراض علينا زدناهُ بياناً

يُعترَض علينا بما جاء في المزمور التاسع والاربعين وهو انسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي « لا عقل لها » كذا اشتهرت هذه العبارة لكن الذي في الترجمة الحديثة لمرسلي الاميركان البهائم التي « تُباد » وفي ترجمة الآباء اليسوعيين كان الانسان في كرامةٍ فلم يفهم فماثل البهائم وتشبه بها فلم يذكروا شيئاً من المعنى الاول ولا الثاني ٠ وفي الترجمة الكلدانية البهائم الخرس اي التي لا تفوه بألفاظ مقطعية كالانسان وهذا مسلَّم فيما قدمناهُ في مقالتنا ٠

وهب ان الكتاب المقدس يصرح بعدم اعطآء العقل للبهائم فيكون من حيثية عدم اقتدارها على ادراك الكليات لا الجزئيات بوجه نسبيّ وذلك لا ينفي كون المبدإِ العقلي فيها وفي الانسان واحداً . وقد جآء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين ما نصهُ « وكانت الحيّة أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تا كلا من كل شجر الجنّة » الى آخر حديثها مع المرأة الاولى . فيتضح من هذا النص الإلهي جلياً ان الحيّة لم تكن شيطاناً كما يفسرهُ البعض مجازفةً وتحكماً لتعزيز مذاهبهم بل بهيمةً من ضمن الحيوانات البرية التي عملها الله تعالى وانها كانت تفضل غيرها من الحيوانات بالتعقل وشدة الادراك مما تقتضيهِ الحيلة حتى تمكنت بدهائها من اغراء حواء بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر فاستوجب عملها هذا القآء التبعة عليها لما انهُ صار منها مباشرةً فلعنها الله وعاقبها بان مسخها مسخاً وقضى عليها بان تسعى على بطنها وتأكل التراب كل ايام حياتها. فيؤخذ من هذا ومن شواهد أخرى أوردها عند الاقتضآء للاسهاب ان المبدأ العقلي ثابت دينياً في العجماوات

اما بخصوص الوجه العلمي فانني قد سبقت فاوردت في مقالتي المشار اليها آنفاً امثلةً وشواهد عديدة تدل دلالةً صريحة على وجود التعقل في الحيوان والتدرج في الادراك الى حدّ يكفي للدلالة على كون المبدإِ العقلي فيهِ وفي الانسان واحداً ولا يختلف عن تعقلنا الا في الكم والكيف ولو امكن حضرة المنتقد تعيين الحد الفاصل بين ما يدعوهُ القوة الوهمية او الغريزة او السليقة والعقل لأتيناهُ بشواهد تدل على ان العجماوات قد تتخطاهُ

الى الأعلى والحيوانات الناطقة قد تقصر عن ادراكهِ. اما وليس لدينا سوى المشاهدات فنحن مضطرّون بما فُطرنا عليهِ الى التسليم بان المسبَّبات المتشابهة انما تنتج عن اسباب متشابهة وبالعكس . فاذا رأينا تشابه ظواهر ادراك العجماوات بظواهر ادراكنا حكمنا بمماثلة الاسباب وقلنا بوحدة المبدأ العقلي. ومن المقرر ايضاً في المشاهدات ان الولد اذا رُبِّيَ في مُعتَزَلٍ لا يسمع فيهِ لغةً الا ما يطرق سمعهُ من اصوات الحيوانات ولا يرى حولهُ ما يستفيد منهُ بالتقليد والتمثل الا حركات البهائم يشبُّ على همجيتهِ كالعجماوات يصوّت باصواتها ويقلد حركاتها فتتشابه ظواهر ادراكهِ بظواهر ادراكها وحينئذٍ لا يكون بينهُ وبين البهائم فرقٌ يذكر سوى كونهِ قد ورث عن والديهِ بعض الخصائص التي تؤهلهُ للارتقاء عن طريق الحواس بالتعلُّم والمشاهدة

بقي علينا ان نعترف بجهلنا الاسباب العديدة المتداخلة التي أخرت العجماوات عن مجاراة الانسان في مضمار التقدم ولكن هل يعاب علينا جهلنا اموراً هي فوق ادراكنا او يترتب على ذلك احجامنا عن التسليم بصحة ما يقع تحت ادراكنا والا فكيف يصح لنا الحكم بوحدة السليقة في الحلميات التي تعيش على نفقة غيرها مدة ثم تبيد بدون ادنى شيء يذكر في تاريخ حياتها سوى كونها وجدت ثم تلاشت وفي النمل الذي يأتي باعمال تحار عندها عقول الفلاسفة ولا يصح لنا نفس هذا الحكم في المبدإ العقلي في احطّ المتوحشين وأعلى القردة مع ان الفرق العقلي الكائن بين الفوجيين مثلاً وأرقى القردة اقل منهُ بين الحلميات والنمل بل اقل منهُ ايضاً بين احطّ الناس وأرقاهم

فسبحان من اوجد المبدأ العقلي في جميع خلائقهِ الحية وسن لهُ نواميس

يرتقي بموجبها كما ارتقى من فوجيّ لا يعرف ما يزيد على الاربعة من الاعداد الى نيوتن يقيس ابعاد الاجرام السماوية ويكشف عن نواميس الجاذبية

مطارحات

امتحان غريب في الترجمة – نظم بعض شعرآء الانكليز المستر لايرد بيتين من الشعر ودفعهما الى صديقٍ لهُ فنقلهما الى اللاتينية ثم ارسل الصورة اللاتينية الى صديقٍ آخر فردّهما الى الانكليزية ثم تُرجما عن الصورة الانكليزية الثانية الى الفرنسوية ثم الى اليونانية فالانكليزية فالالمانية فالانكليزية فالفارسية واخيراً اعيدا الى الانكليزية بعد ان تُرجما احدى عشرة مرةً فجآءا على الصورة التي تراها معرَّبةً هنا قال الناظم الاول

نُبِّئتُ أنَّ فلانَ بعد منيّتي سيخطُّ ترجمتي جُعِلتُ لهُ فِدَى
فطربتُ حين سمعت ذاك تهللاً وهتفتُ واشوقي الى وِرد الرَّدَى

وهذه صورة الترجمة الاخيرة وقد جُعل البيتان خطاباً وجواباً بين رجلٍ وامرأة

– سأُعيدُ ذكركِ يا مُنى نفسي اذا ما متِّ حياً بالقريض مخلَّدا
– لوكنتَ تفعل ذاك في يومي لمَا شوَّقتَ نفسي يا حبيبُ الى الرَّدَى

ونحن نقترح على حضرات شعرآئنا المجيدين ان ينظموا في معنى هذه الابيات الاربعة لكن من غير هذا البحر لان تغيير البحر يقضي بتبديل اكثر الفاظها فيكون ذلك بمثابة ترجمةٍ اخرى لها . ونأمل ارسال ما تجود بهِ قرائحهم في العشر الأُوَل من الشهر الآتي لننشرهُ في الجزء الثالث ان شآء الله

مُتَفَرِّقَاتٌ

الحواضن الصناعية للاطفال ـ من الاطفال من يوضع قبل اوانهِ بشهرين او ثلاثة فيولد ضعيفاً دمياً حتى لا يزيد وزنهُ احياناً على كيلغرامين وفي هذه الحالة لا تكون قد توفرت فيهِ القوى الحيوية الكافية لأن تولّد فيهِ مقدار الحرارة الطبيعي الذي هو ٣٧ درجة فترى حرارة هؤلآء الاطفال لا تزيد في الغالب على ٣٥° وقد تهبط الى ٣٠ . وقد اخترع الدكتور ترنياي سنة ١٨٨١ جهازاً ينوب للطفل عن جوف والدتهِ فيقضي فيهِ المدّة التي فاتتهُ في البطن حتى يكون مولوداً وجنيناً معاً . وهذا الجهاز مؤلف من صندوق من الخشب غطآؤهُ من الزجاج وفيهِ سلّة من الخيزران مبطنة بحشيّة من القطن فيوضع الطفل فيهِ وتُجعَل حرارتهُ على ٣٠ الى ٣٢° ويُطبق عليهِ الغطآء فلا يُخرَج منهُ الا عند ارادة تغذيتهِ وغذآؤهُ يكون من لبن بقرةٍ او أتان ممزوج بمآء محلّى بالسكر . وقد بحثوا منذ مدةٍ في ذريعةٍ تزيد في تقوية الطفل ويمكن بها تعجيل اخراجهِ الى الهوآء فامتحنوا في ذلك ان يجعلوا الهوآء الذي يتنفسهُ مُشبعاً بالاوزون وهو الاكسيجين المكهرب فصادفوا في هذه الطريقة نجاحاً كبيراً . وقد وُجِد ان عدد الذين يمكن استحيآؤهم بهذه الحضانة هم ٧٧ في المئة ممن يولدون بين الشهر السابع والثامن و ٥٠ ممن يولدون في الشهر السابع و ٢٠ ممن يولدون في السادس

فكاهات

رواية

عواقب الغرور (١)

ذُكر ان رجلاً من اعيان الفرنسيس يقال لهُ اندريا كان ذا مالٍ وافر قد ورثهُ عن ذويهِ فخطر لهُ يوماً ان يتعاطى اعمال التجارة وكان من ذوي الخبرة بها والممارسين لها منذ صبوتهِ فشمر عن ساعد الجدّ وافرغ ما عندهُ من الحذق والاجتهاد غير ان الدهر ابى الا ان يعاكسهُ وتمنَّع الحظ عن مساعدتهِ فلم تكن تجارتهُ في نجاح بل تأخرت احوالهُ وتوالت عليهِ الخسائر من جهات عديدة حتى اصبح على شفا الخراب . فبينا كان ذات يومٍ جالساً كعادتهِ على باب مخزنهِ وهو يفكر فيما آلت اليهِ حالهُ ويتبصر في طريقةٍ تدرأ عنهُ ما يتوقعهُ من سوء المصير اذا بفتًى يناهز الثامنة عشرة من عمرهِ قد جاء توًّا فوقف امامهُ وابتدرهُ بالسلام فاجابهُ وانتظر ان يذكر لهُ غرضهُ فقال الفتى انني انسانٌ شقيٌّ يا سيدي قد حرمت اهلي ووالديَّ منذ حداثتي وقضيت كل حياتي في البؤس الى الآن فهل لك ان تمنَّ عليَّ بخدمةٍ عندك فترحم نفساً شقية وتنقذ روحاً ربما اشتد عليها الكرب وسوَّلت لي الانتحار. فتوقف اندريا هنيهةً يتأمل في الفتى وكلامهِ ويفكر في حالتهِ وما انتهى اليهِ

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

فرأى انهُ ليس الوحيد الذي اخنى عليهِ الدهر ومع ما هو فيهِ من ضيق ذات اليد وعدم مقدرتهِ على مساعدة الفتى وجد من نفسهِ ميلاً الى الأخذ بيدهِ واغاثتهِ فقال لهُ ما اسمك ايها الفتى وما الذي تحسنهُ من المعارف . فقال اسمي اوغست واما معـارفي فاني مع اخنآء الدهر عليَّ وحرمانهِ لي اعتنآء الوالدين والاهل واسباب المعيشة لم اعدم شفقة رجلٍ من الافاضل ضمني الى نفسهِ وعني بتهذيبي وقد تلقيت دروسي في مدرسة السربون وحصلت على شهادات عديدة اطلعك عليها اذا شئت . قال اندريا وكيف تركك هذا المحسن الذي ذكرتهُ . قال انهُ لم يتركني ولكن الدهر لم يشأ ان يمتعني بكمال السعادة بعد ما اذاقني من مرارة الشقآء فاني ما اتممت دروسي حتى توفي ذلك المحسن فجاءةً والا لما تأخر عن جعلي في مركزٍ امين او قسم لي جزءا يسيراً من ثروتهِ . قال اندريا لا بأس يا اوغست فادخل الى محلي هـذا فسأقبلك فيهِ تحت التجربة مدة شهر فاذا وجدت منك ما يرضيني ووجدت عندي ما يسرك بقيت فيهِ والا انصرفت من حيث اتيت . فقبل اوغست شاكراً ودخل مع اندريا الى المحل فافهمهُ قواعد اشغالهِ وفوض اليهِ العمل . وما ادرك كيفية الشغل حتى اخذ يدأب ويجد وهو يشتغل في ليـلهِ اكثر من نهارهِ وكتب الله لهُ حظاً ووهبهُ حكمةً ودرايةً فتوفق في اعمالهِ وسرَّت العملآء من معاملتهِ فأخذت تتوارد عليـهِ اسباب النجاح وما انتهى شهر التجربة حتى رأى اندريا تحسناً عظيماً في اشغالهِ وشعر بالارباح الناجمة فتعلق قلبهُ بأوغست ولم يعد يهمهُ سوى المحافظة عليهِ عندهُ فعينهُ مديراً لاشغالهِ بمرتبٍ وافٍ وقسمٍ من ارباح المحل . ولم تزل تجارتهُ في تقدم ونجاح واتساع

نطاق حتى بلغ في السنة الاولى غاية عظيمة وعُدَّ اندريا بين أهم تجار فرنسا

اما اوغست فلم يكن يميل الى شيء في العالم ولا يشغلهُ سوى الانتباه الى عملهِ فكان ينفق على نفسهِ الاجرة التي يقبضها ويبقي قسمهُ من الارباح عند صاحب المحل امانةً لهُ . ولم يدرِ اندريا كيف يكافئ اوغست فاخذ يعاملهُ معاملتهُ لولدهِ وكان في كل اسبوع يدعوهُ مرتين او اكثر لتناول الطعام معهُ في بيتهِ . وكان لاندريا ابنةٌ في مقتبل الشباب يقال لها متيلدا جميلة الصورة تامة التهذيب كانت ترى اوغست على مائدة بيتهم وتسمع ثناء والدها عليهِ فتعلقت بهِ تعلقاً شديداً واحبها اوغست اولاً محبة ابنة رئيسهِ ثم محبة اختٍ لهُ ثم انتفض فيهِ عرق الحب الحقيقي فاحبها محبة فتًى لفتاةٍ ستكون شريكة حياتهِ . ولما قوي فيهِ هذا الميل جعل يكثر من التردُّد على بيت اندريا ويبالغ في اظهار ميلهِ واحترامهِ للفتاة لكنهما لم يفاتح احدهما الآخر بشيء من كلام الحب . وكانَ اوغست يثق انهُ مهما طرأ على متيلدا من الاحوال فهي لا تقبل سواهُ بعلاً لها كما وطد هو العزم ايضاً ان لا يتخذ غيرها عروساً لهُ

وفي ذات يومٍ استدعى اندريا اوغست فقال لهُ قد اتاني اليوم رجلٌ وبيدهِ هذه الحوالة عليك بمبلغ الف ليرة فما تقول فيها . فاخذ اوغست الحوالة باستغراب وتأملها ملياً ثم قال وهل عندي من المال ما يضاهي هذا المبلغ . قال اندريا ان قسمك من الارباح مفروز على حدة وارباحهُ تُضَمّ اليهِ وهو يقابل اضعاف هذا . قال اذاً انا اقبل الحوالة وارجو ان لا نؤخر اداءها . فتعجب اندريا من ذلك لانهُ لم يكن يعلم ان لأوغست مداخلة مالية

مع احد واحب ان يستفهمهُ عن الامر لكنهُ سكت مخافة ان يكون ذلك نوعاً من الفضول . وفي اليوم الثاني عاد اليهِ الرجل فنقدهُ المبلغ متعجباً وقيدهُ على حساب اوغست . ثم لم يمضِ على ذلك اكثر من شهرٍ واحد حتى جاء الرجل ثانيةً بحوالة اخرى بنفس القيمة ولما سئل اوغست عن ذلك قطب حاجبيهِ قليلاً بدون ان يبدي اقل اعتراض ووقَّع على الحوالة ان تُدفع فزاد عجب اندريا من ذلك وقال لهُ انني كنت اجهل تماماً ان لك معاملة مالية مع احدٍ في العالم فهل لك ان تفيدني شيئاً عن هذا . قال اوغست اني ايام كنت في المدرسة كان لي صديقٌ من رصفآئي التلامذة لم يكن اخٌ يحب اخاهُ كما كان احدنا يحب الآخر واسمهُ ادمون دي برزاك وهو من اسرةٍ غنيةٍ لا يجهلها احد في فرنسا ومهما ذكرت لك عن صفات ادمون فلا اظنني وافياً بما فُطر عليهِ من الكرم وعزة النفس وحسن السيرة والكمالات الانسانية ولكنهُ كان مسرفاً جدًّا في سخآئهِ فكلما ارسل اليهِ والدهُ بمبلغٍ من المال اسرع في انفاقهِ وعاد يطلب سواهُ حتى سئم والدهُ منهُ فحرمهُ من ارثهِ وجحدهُ وبعد ما خرجنا من المدرسة لم اعد اسمع شيئاً عن ادمون حتى بلغني بعد بضع سنوات انهُ سافر الى الهند الغربية واثبت لي هذا الخبر الحوالتان اللتان وردتا عليَّ منهُ من هناك . وليس بيني وبين ادمون معاملات مالية وانما سلمت بدفع القيمة التي احال بها عليَّ لاني قدَّرت انهُ اما ان يكون في ضيق شديد وعلى الصديق اغاثة صديقهِ واما انهُ آخذٌ في تجارةٍ رابحة ولزمتهُ هذه المبالغ غير اني على كل الاحوال اتعجب من احالتهِ عليَّ بمثل هذا المقدار مع علمهِ حين سفرهِ انني لا املك شروى نقير فما ادري من

الذي اخبرهُ بحالتي الحاضرة. فتعجب اندريا من حسن نية اوغست وصمت

ومضى على ما ذكرناهُ عدة اشهر الى ان كان اندريا جالساً الى جانب مكتب اوغست يراقب شغلهُ ويعجب ببراعتهِ فدخل عليهما فتًى جميل الطلعة رشيق القوام حسن البزَّة لحيًّا ثم تفرَّس في اوغست وهجم عليهِ يقبلهُ بشوقٍ عظيم وكان هذا الفتى هو ادمون وقد عاد من سفرهِ. وبعد ان جلس هنيهةً قام اندريا لشأنهِ وترك الصديقين يتحادثان واخذ ادمون يقص على اوغست ما كان من حديثهِ فقال انني سافرت الى الهند مدفوعاً الى ذلك بما لاقيتهُ من الضيق في بلادي وقد بذلت كل ما بوسعي لأجد لي شغلاً ارتزق منهُ ورأيت هناك سوق المقامرة رائجة وانت تعلم كراهتي لها ولكن الفقر والذل دفعاني الى تلك الهوة فسقطت فيها وكنت تارةً اربح المال الوافر وتارةً اخسر آخر درهم واخيراً ترتب عليَّ دينٌ عظيم وكان قد بلغني ما صارت اليهِ احوالك فأحلت عليك بالالف الاولى ورأى الناس هناك استقامتي فوثقوا بي مرةً ثانية فعدت وخسرت الفاً اخرى وقيمتها من مالك ايضاً . ثم عمدت الى اللعب علّني احصّل ما يفي ديني لك ان لم احصل زيادة عن ذلك ما بسد مطامعي غير انني لسوء الحظ خسرت ايضاً وهذه المرة كانت خسارتي جسيمة وانا اخجل ان اطلب تعويضها منك . فبهت اوغست مفكراً في ما آلت اليهِ حالة ادمون ورأى ادمون ترددهُ فقال لهُ انني قد عاهدت الله على ان لا اتعاطى المقامرة ما حييت فان شئت ان تنزع عني العار باقراضي هذا المبلغ اعاهدك مقسماً بالله وَبما بيننا من الحب انني انظر لي باباً من ابواب المكاسب الشرعية لافيكهُ وان لم تمدد يدك

لمساعدتي فانا هالكٌ لا محالة . فقال اوغست وكم المبلغ الذي تحتاج اليهِ الآن قال اربعة آلاف جناي فيصير مجموع ما لك عليَّ ستة آلاف جناي اكتب لك بها صكاً شرعياً وافيكها كلما حصلّت شيئاً . فذعر اوغست ولكنهُ اظهر الرزانة والسكينة ثم قام الى دفاترهِ ليرى المبلغ الذي يخصهُ فوجد انهُ يزيد قليلاً جدًّا عن المبلغ المطلوب . فتوقف حيناً ثم اخذ حوالةً بالقيمة فوقَّع عليها ودفعها الى ادمون فاخذها ادمون بعبرات الشكر وانصرف

وبعد ذلك اخذ اوغست ادمون الى بيت اندريا فعرفهم بهِ وكان ادمون كما ذكرنا طلق اللسان ثبت الجنان عليهِ ملامح الشرف والعظمة فخلب الجميع بكلامهِ حتى دهشت الام بجمالهِ وأُخذت الابنة برقيق عباراتهِ وحسن هندامهِ وتولع بهِ الاب حتى لم يعد يلوم اوغست على تهورهِ في تسليمهِ كل تلك المبالغ بل صمَّم انهُ ان احب ادمون ان يقترن بابنتهِ متيلدا يتخذ على نفسهِ ان يفي عنهُ المال الذي عليهِ لاوغست فضلاً عن البائنة (الدوطة) التي يهبها لابنتهِ

ولحظ اوغست انشغاف أُسرة اندريا بادمون وخاف عواقب الامر فعزم ان يفاتح متيلدا بالزواج ويسرع فيهِ ما امكنهُ ولكنهُ عاد فتذكر انهُ قد اعطى جميع مالهِ لادمون ولم يبقَ عندهُ سوى النزر اليسير فأنَّ بتلهفٍ عظيم ولزم السكوت . اما ادمون فما زال حبهُ يتزايد عند القوم وخصوصاً اندريا الذي اصبح يعزهُ اكثر من ولدهِ وخاطبهُ ادمون في امر ابنتهِ فصرَّح لهُ بما يضمرهُ وانهُ في اي ساعةٍ شاء الاقتران بها يمدهُ بمالٍ وافر ليفي ما عليهِ ويعيش في سعة وسرور . فقال ادمون اني كنت اود الاقتران بها

من هذا اليوم لولا بعض اشغال مهمة احب قضآءها قبل الزواج فلا بأس من ارجآء الامر قليلاً . وكان ادمون يأتي كل يوم الى بيت اندريا ويجالس متيلدا ويخرجان معاً ويزوران اماكن النزهة واللهو وهي مع مزيد تعلقها باوغست لم تسمع منهُ شيئاً من حديث الحب فلبثت حيرى بين الاثنين . وفي ذات يوم جآءها اوغست يدعوها ان تصحبهُ لحضور حفلة غنآء عظيمة فقالت اشكرك ايها العزيز لكن قد دعاني اليها ادمون قبلك ووعدتهُ بالذهاب معهُ فسنلتقي بك هناك فعضّ اوغست شفتهُ حتى ادماها وخرج . ولما كان الموعد انطلق اوغست الى الملعب واذا غربةٌ تقل اندريا وزوجتهُ وابنتهُ وادمون فدخلوا الى غرفةٍ مخصوصة وجلس اوغست في زاويةٍ تقابلها يراقب حركاتهم . وكانت تلك الليلة من ابهج الليالي واجلها قامت في نهايتها فتاةٌ رشيقة القوام حسنة الصورة عليها هيئة الحزن فاندفعت تغني بلحنٍ شجيّ رقت لهُ قلوب الحاضرين ولما فرغت استعادوها ثانيةً وثالثةً حتى لم يبقَ في الملعب الامن بكى لشجو غنآئها واخذ الناس يتسآءلون عنها فعلموا أن اسمها مرغريت وانها مربية لاولاد الكنتة ديدي

وفيما كان اوغست خارجاً من الملعب صادف احد اصدقآئهِ فترافقا في الطريق وجرى بينهما حديث مرغريت فسألهُ اوغست عنها وهل يعرف شيئاً من امرها فقال نعم هي امرأةٌ تزوجت من بضع سنوات وكان زوجها سيئ البخت ولا مال لديهِ فتركها وسافر الى الهند فاضطرت الى الدخول في خدمة الكنتة حيث لا تزال الى الآن وهي منذ سافر زوجها الى اليوم لم تكد تحصل منهُ على خبر ولم تعلم شيئاً من احوالهِ وما ينويهِ من الرجوع اليها

فتدلهت من الحزن والقلق وهذا هو السبب فيما سمعت من شجو غنآئها . ولبث الصاحبان متسايرين وهما يتنقلان في الاحاديث حتى وصل اوغست الى امام محلهِ فدخل ومضى الصديق في طريقهِ

اما اندريا فعاد الى بيتهِ وهو مُعجَب بغنآء مرغريت وصوتها الرخيم ورأى تأثيرها في زوجتهِ وابنتهِ لا يقل عن تأثيرها فيهِ فجعل يتكلم عنها وعن حركاتها واشاراتها وصمَّم اخيراً ان يدعوها الى بيتهِ يوماً للعشآء على امل ان يسمع صوتها ثانيةً . فقالت زوجتهُ نعم واني سأطلبها من الكنتة ديدي وانا على يقين بما بيني وبينها من الصداقة انها لا تتأخر عن اجابتي. قال اذاً سندعوها لتناول العشآء معنا مسآء الاحد القادم فقالت زوجتهُ بل ندعوها مسآء السبت وقالت الابنة يوم كذا فقال ادمون اذاً متى اتفقتم على يوم فاعلموني قبل الوقت مخافة ان يكون عندي اشغالٌ تمنعني من الحضور فقال الاب اذاً نفوض الامر اليك فمتى رأيت نفسك مستعدًا فاعلمنا قبل بيوم لندعوها وهكذا اتفق الجميع

ولما كان بعد ايام وافى ادمون وقال لهم اني ساكون مستعدًا للحضور مسآء غدٍ فاذا شئتم ان تدعوا الفتاة فافعلوا فذهبت الام وزارت الكنتة وتواعدت مع مرغريت ان تأتيهم في مسآء اليوم التالي . وفي مسآء ذلك اليوم جلس ادمون كعادتهِ بقرب متيلدا ولكنهُ لم يكن يحادثها كعادتهِ واعتذر بانهُ مصابٌ بصرعٍ شديد ويحب ان يذهب باكراً لينام استعداداً لليلة القادمة ولما بلغت الساعة العاشرة استأذن وخرج

وكان اوغست لما رأى قلة احتفال آل اندريا بهِ اخذ يقلل من زياراتهِ

لهم وكان يقضي اكثر لياليهِ في نادٍ بالقرب من بيت اندريا ويرى ادمون راجعاً من سهرتهِ فيغصُّ بريقهِ . ورأى ادمون في تلك الليلة المذكورة عائداً قبل الميعاد فتعجب من خروجهِ الباكر ودعتهُ نفسهُ لاستطلاع امرهِ فخرج يقتفي اثرهُ بدون ان يشعر بهِ حتى انتهى في اتباعهِ الى ساحةٍ صغيرة فيها بركةٌ جميلة يتفرَّع حولها اربعة طرق فلما وصل ادمون الى هناك وقف يراقب تلك الطرق كأَنهُ ينتظر قدوم احد ثم توجه الى البركة فجلس الى حافتها . ولما رأى اوغست ذلك ظنهُ ينتظر صديقاً لهُ لموعدٍ بينهما فقفل راجعاً ولم يسر بضع خطوات حتى رأى الشرطي الموكل بحراسة تلك البقعة وكان من معارف اوغست فوقفا يتكلمان نحو نصف ساعة ثم افترقا وذهب كلٌّ الى محلهِ

ولما كان صباح الغد خرج اوغُست لينطلق الى شغلهِ وبينما هو في الطريق سمع باعة الجرائد وهم يجرون في ساحات المدينة ينادون بحادثة قتل فظيع . فلما سمع اوغست ذلك ابتاع جريدةً واخذ يتصفحها فاذا فيها ما يأتي . « في هذا الصباح وُجدت جثة مرغريت مربية اولاد الكنتة ديدي ملقاةً بجانب البركة في شارع ... وقد طُعنت طعنةً في صدرها نفذت الى ظهرها وطعنةً اخرى في عنقها اخترقتهُ من الوريد الى الوريد والحكومة مهتمة بالقبض على الجاني » . فشعر اوغست بارتعاشٍ استولى على كل جسمهِ واخذ الجريدة وسار الى بيت اندريا فوجدهم وادمون مشتغلين بتزيين البيت استعداداً لمأدبة المسآء . فقال هل بلغكم ان مرغريت لا تأتي في هذه الليلة . قالوا لا وكيف ذلك . قال انها قد قُضِي عليها في هذا الليل قتلاً ودفع اليهم

الجريدة فلما اطلعوا عليها ادهشهم ذلك الخبر الفجآئي واخذ منهم الاسف اشدّ مأخذ على شباب الفتاة وتلهفوا لموتها العاجل وقال اندريا انهُ يهب الف جناي لمن يصل الى معرفة القاتل . واهتمت الشرطة بالبحث في كل ناحية فلم يقفوا للقاتل على اثر وقرر الشرطي الحارس انهُ وقف هنيهةً يتكلم مع اوغبست ثم ذهب الى البركة فطاف من حولها فلم يكن ثمت شيء ولكنهُ لما عاد ثانيةً وجد الجثة ملقاةً على الارض ولم يسمع اقلّ حركة في كل تلك الجهة

ودام بحث الحكومة ولهج الجرائد نحو شهرين بدون جدوى ثم اخذ القوم يتناسون تلك الحادثة الاَّ اوغست فانهُ كان قد تغلب عليهِ حب الاخذ بثأر تلك المسكينة فكان يسعى جهدهُ للوقوف على جلية الخبر

وبعد مضي اسبوع آخر من ذلك التاريخ صرَّح ادمون لاندريا بعزمهِ على الاقتران بمتيلدا فاستعد القوم لذلك وعيُن يوم العرس فنقدهُ اندريا عشرة آلاف جناي وفى منها اوغست ما له عليهِ واحتفظ بالباقي . وفي ذلك النهار ورد على متيلدا كتابٌ بطريق البريد ففتحتهُ بيدٍ مرتجفة واذا فيهِ

ايها الملك الطاهر

لقد خُدعتِ وغرَّكِ جمال ادمون واسرافهُ وتزوُّقهُ وانما هو كما يقال عن القبور المكلسة فاياكِ والوقوع في شركهِ واني صديقٌ اخلصكِ النصح واشير عليكِ ان تمتنعي من الاقتران بهِ وان ابيتِ فلا اقلّ من ان تؤخري العقد ولو ثلاثة ايام لتري من الذي تسلمين اليهِ ملَك العفة وسلامة الضمير وتسبري غور الهوة التي ستسقطين فيها . استحلفكِ بالله ان تؤخري عرسكِ ثلاثة ايام فقط ان لم تشائي فسخهُ البتة والاَّ فستندمين على شقائكِ حين لا ينفع

الندم وتبكين حظكِ ما حييتِ كما ابكي انا حظَّ فتاةٍ لا يهمني في العالم الاَّ ان اراها في سعادةٍ وسلام نصيح

فجعلت متيلدا تراجع تلاوة الكتاب مفكّرةً في الامر ولكنها اخيراً غلب عليها الافتتان بجمال ادمون فحملت كلام ذلك النصيح على الحسد واخفت الكتاب بين بعض اوراقها السرية ولم يطلع احدٌ على ما كان وفي ذلك المسآء زُفَّت متيلدا الى ادمون في احتفالٍ شائق وفرح عظيم

وكان ادمون يودّ ان يرحل بعروسهِ الى بلادٍ اخرى فلم يوافقهُ والداها لانهُ صعب عليهما فرقتها في الحال وفي اليوم الثالث من زواجهما لم يعد يقوى ادمون على الصبر فصمم على الرحيل ونهض صباحاً فأعدَّ حوائجهُ وما انتصف النهار حتى جآءت العربة الى باب البيت لتقلّهما الى محطة القطار فاستندت متيلدا على ذراع زوجها بعد ان ودَّعت والديها ونزلت. ولما استويا في العربة وامرا السائق بالمسير اذا بفارس من الشرطة قد تقدم الى ادمون وقال لهُ هل حضرتك ادمون ... قال نعم. قال باسم الحكومة الفرنسوية استوقفك فاتبعني. فلما سمعت متيلدا ذلك تذكرت للحال الكتاب الذي اتاها وسفرت لها الحقيقة من ورآء حجب الخفآء ولم يبقَ عندها ريب ان الكتاب كان آتياً من اوغست فندمت على اهمالهِ وانهما كها بأدمون وتراكمت هذه الخواطر عليها دفعةً واحدة فسقطت مغشياً عليها فاسرع والداها وحملاها الى المنزل ولبث ادمون سائراً امام الشرطي حتى انتهى الى دار الحكومة وهناك أُلقي في السجن الى يوم المحاكمة

ولما كان اليوم المضروب لاصدار الحكم احتشدت الجماهير المؤلفة

وعُقد المجلس فقام الخطيب واخذ يشرح قصة ادمون فجزم بانهُ هو قاتل مرغريت على ما شهدت بهِ الدلائل وقامت عليهِ البينات ثم ذكر من قصتهِ انهُ بعد خروجهِ من المدرسة وهو لا يملك شروى نقير اقترن بالفتاة مرغريت وكان لديها مبلغٌ من المال فبذَّرهُ كعادتهِ ثم لما اشتدَّ بهِ الضيق سافر الى الهند ودخلت هي في خدمة الكنتة ديدي . فلما عاد في المدة الاخيرة سوَّلت لهُ نفسهُ الاقتران بابنة المسيو اندريا طمعاً في غنى والدها ولكن لما كان وجود زوجتهِ الاولى يحول دون ذلك اخذ يفكر في طريقة يتخلص بها منها وفي آخر الامر اوصل اليها كتاباً سريًّا يخبرها فيهِ انهُ قد عاد من سفرهِ وانهُ يودُّ مواجهتها في تلك الليلة سرًّا لسببٍ يعلمها بهِ متى التقيا . ولم تكن المسكينة تستعد لمثل تلك البشارة المفرحة فما صدّقت ان انتصف الليل حتى ذهبت الى محل الملتقى ولما رأت زوجها هجمت عليهِ تقبّلهُ فقابلها بطعنةٍ من خنجرهِ فسقطت ميتةً وعاد فارغ البال لاتمام مقاصدهِ الشريرة . وعليهِ فقد حكمتُ باسم الحكومة الفرنسوية ان يُحفظ ادمون في سجن الاشغال الشاقة الى ان نحصل على الاذن السامي في شنقهِ

وكان الحزن قد اثر شديداً في متيلدا حتى كانت تأخذها نوبٌ عصبية خشي الطبيب عليها منها وكانت لا تجد سلوةً وعزآء الا باوغست فلم يكن يفارق سريرها الى ان شفيت فبقي لها صديقاً صدوقاً ولابيها ابناً اميناً وقضى حياتهُ عزَباً يفضل الظمأ الشديد على ورود الشراب المبتذَل كما قيل

وتجتنب الاسودُ ورود مآء اذا كان الكلاب ولغنَ فيهِ